البحث في الخصائص المميزة للملة عند المسلمين *

(مقترح ومخطط لدراسة دولية)

الدكتور شهاب الدين محمد مغنى *

رئيس قسم علم النفس بجامعة بيشاور ـ باكستان

الملخص :

في هـذه المقالـة يدعـو الباحث الى ضرورة العمل على دراسة خصائص المِلة عند المسلمين • وحجته في ذلك أن الدين الاسلامـي ينظم سائر جوانب الحياة لأبنائه ، ويطبعهم ، على اختلاف ألوانهم وأقطارهم بطابع واحد • واذا كان أهل الغرب من الباحثين فـي العلوم السلوكية قد نشطوا في دراسة خصائص الشعوب ونمط الشخصية الغربيـة ، فمـا أجدر بنى الاسلام بدراسة الخصائص المميزة للملة (أو بعبارة أوضح للأمة) الاسلاميـة • ثـم يضع الكاتب القواعد الأساسية والخطوط العريضة لمنهج البحث اللازم اتباعه من أجل تحقيق هذه الغاية السامية •

---

* مقالة قرئت في الندوة الاولى لعلم النفس والاسلام (الرياض في ذي القعدة ١٣٩٨هـ) ، وقد قام بترجمتها الى اللغة العربية احمد عبد العزيز سلامة رئيس تحرير المجلة •

مقدمـة :

مفهوم الملة هو المفهوم المركزي بالنسبة لاسلوب الحياة في الاسلام · ذلك أن الدين عند المسلم لا يقتصر على أن يكون مسألة فردية بين العبد وربه · وانما الدين يحدد كذلـك علاقة الانسان باخوانـه المسلمين وغـير المسلمين وسائـر مخلوقات الله على السواء · وكذلـك كان الدين متضمنا كل جوانب الحياة من المهد الى اللحد ، ممتدا فيما بين الجوانب الخلقية والروحية من ناحية والجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من ناحية أخرى · وفي الاسلام نجد العلاقة وثيقة بين الفرد والمجتمع الى حد أنه يصبح من الصعب التمييز أو الفصل بين جوانب الحياة الفردية وجوانبهـا الاجتماعية ، وان كان ذلك لا يجعل الفرد في حل من مسئوليته الشخصية عن كل ما يقول أو يفعل · لكننا نجد من ناحية أخرى أن الحياة الجماعية في الاسلام تصل من الأهميـة الى درجة أن الجماعيـة أصبحت أمرا واجبا لا في الامور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فحسب ، بل وكذلك في الامور الدينية البحتة ، تلك الامور الشخصية من قبيل أداء الصلاة · كذلك نجد لدى المسلمين ايمانا واعتقادا راسخا بأن المسلمين على الأرض يكونون ملـة واحدة ، ويشتركون بصفة عامة في تراث ثقافي عام ، وطائفة مشتركة من المعتقدات والقيم والأهـداف والاتجاهات والمعايير ، يمليهـا كتاب الله الكريم والسنة المطهرة لتنظيم الحياة الفردية والاجتماعية عند المسلمين ·

والذي يؤسف له أن الخصائص المميزة للملة عند المسلمين لم تجد ـ على امتداد تلك الحقبة التاريخية الطويلة التي اجتازها الاسلام خلال القرون الاربعة عشرة الاخيرة ـ لنفسها تعبيرا دقيقا دائما في الأنظمة الاجتماعية والسياسية عند المسلمين · لكننا نجد من ناحية أخرى أن الحيوية التاريخية التي يتميز بها الاسلام انما تعود الى متانة نسيج هذه الملة التي تعرضت المرة بعد المرة للابتلاء على أيدي اعداء الاسلام · وقد تضاعفت في الآونة الاخيرة جهود هؤلاء الاعداء ، وان كانت قد اتخذت صورا مقنعة مستخفية ، وذلك بسبب ثروة البترول والاهمية الاستراتيجية المتزايدة للعالم الاسلامي الممتد فيما بين مراكش وأندونيسيا · ومن هنا ازدادت الحاجة الى التيقظ والانتباه · أضف الى ذلك أن لدى الاسلام رسالة الى الانسان الكادح والى عالمنا المنقسم على نفسه · وهذه ليست بالعملية السهلة على الاطلاق · ولكن الصعوبة هنا لا تتركز في الناحية النظرية أعني في اثبات أن الاسلام ملائم مناسب للعصر الحديث وانما هي تتركز في الناحية العملية أعني في اثبات أن تعاليم الاسلام تنعكس في الخصائص المميزة للمسلم اليوم ، فان لم يكن الامر كذلك أصبح من الضروري البحث عن اوجه الاختلاف واسبابه وكيفية التغلب عليها ·

وفي ضوء الاعتبارات السابقة ، نجد أن من بين أكثر المشكلات أهمية وأجدرها بأن يتصدى لها المشتغلون بالعلوم الاجتماعية في العالم المسلم مسألة « الخصائص المميزة للملة » عند المسلمين ، وذلك على غرار مسألة الخصائص المميزة للشعوب المختلفة التي درست من وجهات نظر مختلفة المرة بعد المرة · قد يتشكك بعض الناس في أن من الممكن أن نعد المسلمين في العالم بوصفهم ملة واحدة ، وذلك بالنظر الى اختلاف تاريخهم السياسي وأنظمتهم الاجتماعية والى ما بينهم من تفاوت في أصولهم البشرية واللغوية والحضارية ومن اختلافهم حديثا فيما قامت لديهم من حركات وطنية قوية في الاقطار المختلفة ، تلك الحركات التي هي نتيجة مباشرة لتأثير الاستعمار الاوروبي · فان تبين أن ذلك غير ممكن جاز لنا أن نسأل عن جدوى القيام بمثل هذه الدراسة ·

لكننا نقول أولا أن مفهوم **الملة** لا يستبعد وجود أمثال هذه الاختلافات التي يسمح بوجودها الاسلام ما دامت لا تتنافى مع روح الاسلام وتعاليمه التي تقضي بوحدة المسلمين وتآخيهم · ثم ان مفهوم **الملة** ، من ناحية أخرى ، يتضمن في اطاره كثيرا من الاختلافات التي يقرها الاسلام ويسمح بوجودها · بل اننا نجد فيما بين طوائف الامم والشعوب الاخرى بعض هذه الاختلافات كذلك ، ومع ذلك لا يستبعدها مفهوم « الخصائص المميزة للامم والشعوب » · ولذلك نجد أن القضية التي تقول بأن مسلمي العالم لهم ذاتيتهم الخاصة ، وشخصيتهم الملية ،

بحكم أنهم يشتركون في طائفة عامة من المعتقدات والقيم والدوافع والمعايير والاهداف ، وان لهم كتابا واحدا ورسولا واحدا (صلوات الله وسلامه عليه) ، وأن الكعبة مركزهم وقبلتهم ، وأن لهم تاريخا مشتركا وأبطالا مشتركين في صدر الاسلام على الاقل ، على حين أن أبطالهم المتأخرين مصنوعون على غرار الابطال الاوائل ، نقول أن تلك القضية تستحق النظر والدراسة العلمية · بل أن الامر لا يقتصر على أن مثل هذه الدراسة لها من الاعتبارات العقلية والعملية ما يبررها ، وانما حقيقة الامر أن هذه الدراسة فرض واجب على المسلمين · ثم أنه قد تترتب عليها منافع تطبيقية كذلك في مجالات التربية والصحة العقلية أولا ، ثم في التنمية الاجتماعية الاقتصادية ، وتحقيق التكامل بين طوائف الامة ، والعلاقات الدولية ، وغير ذلك من المجالات ·

اعتبارات نظرية ومنهجية عامة :

النهج العام لدراسة « الخصائص المميزة للامة » هو نفسه النهج الذي درجت عليه دراسات « الخصائص المميزة للامم أو شخصيات الشعوب » فيما عدا أن الدراسة الاولى سوف تمضى عبر الحدود السياسية للشعوب الاسلامية في أجزاء مختلفة من العالم · وهذا ما لا يحدث عند دراسة الخصائص المميزة للامم · ومن أجل هذا كان لا بد من الحصول على موافقات الحكومات المعنية ، ويصبح من اللازم ألا تجري هذه الدراسة الا حيث يمكن الحصول على مثل هذه الموافقة · وبعبارة اخرى نقول عن المنهج العام ان ما نقترحه هنا هو أن نوسع من مفهوم « الخصائص المميزة للشعوب » ونمده ليشمل مفهوم **الملة** ·

والاتجاه السائد في التعريفات المختلفة « لخصائص الشعوب » يبدو أنه يمكن أن يتلخص في أن هذا المفهوم يتضمن الخصائص العامة أو الموحدة في مجتمع معين · وفي الدراسة المقترحة للخصائص المميزة للملة يمكن أن نصطنع في تعريف المجتمع السليم مفاهيم اجرائية معينة ، لعل أنسبها مجموع السكان المسلمين الذين يسكنون منطقة معينة · وان كنا نستطيع أن نستخدم كذلك معايير اخرى · كما أن من الممكن دراسة مدى انتشار الخصائص السلوكية – التي يفترض انها تميز الملة – في عينات مختارة تكون كبيرة وممثلة الى حد يسمح لنا بالتحديد المضبوط لمدى الانتشار أو العمومية · على حين أن دراسة مدى اتفاق غير المسلمين الذين يعيشون بين المسلمين في هذه المناطق أو اختلافهم عنهم في هذه الخصائص (وذلك في المجتمعات الاسلامية التي تتضمن عناصر سكانية مسلمة وغير مسلمة) يمكن أن يستخدم بمثابة اختبار اضافي لصحة الفرض الحالى ، وذلك بشرط امكان القيام بمثل هذه الدراسة ·

ومن بين المناهج المستخدمة في دراسة الخصائص المميزة للشعوب ثلاثة جديرة بالذكر ـ المنهج الاجتماعي والانثروبولوجي والنفسي · أما في المنهج الأول فيتركز الاهتمام في **المجتمع** ، على حين أن الانتباه ينصب في الثاني على **الحضارة**، وفي الثالث على الشخصية · ولذلك وجدنا في كتابات الباحثين ثلاثة استخدامات متميزة لمصطلح « شخصيات الشعوب » : شخصية الامة بوصفها « شخصية المجتمع » ، وشخصية الامة بوصفها « شخصية الحضارة » ، وشخصية الامة بوصفها « الشخصية المنوالية أو الشائعة » · ولعله من الواضح أن المجتمع والحضارة والشخصية متغيرات مترابطة ، وأن الانسان يستطيع أن يتبين تضافر هذه العوامل جميعا في تكوين شخصية الامة · لكن السؤال الذي ينبغي التصدى له هو : أي هذه المناهج أكبر سلامة من الناحية النظرية والمنهجية وأكبرها فائدة ·

أما نظرية شخصية الشعب من حيث هي « شخصية المجتمع » فانها تعمد الى الربط بين شخصية المجتمع و « الظروف الاجتماعية الموضوعية » التي تواجه أفراد المجتمع (فروم) · والمجتمع لا بد له لكي يواجه هذه « الضرورات » بنجاح ـ من أن يترجمها الى خصائص مميزة لافراده حتى يمكنهم أن يرغبوا في التصرف على النحو الذي **يفرض** عليهم · ومن هذه الخصائص والسمات المشتركة تتكون الشخصية الاجتماعية (الخصائص المميزة لشعبهم) ، كما أن عملية الترجمة هذه تتم عند تدريب الآباء لاطفالهم وتنشئتهم لهم· والآباء يكتسبون خصائصهم المميزة اما عن طريق آبائهم ، أو عن طريق الاستجابة المباشرة للظروف الاجتماعية المتغيزة · لكن من الواجب هنا أن نبين أن « الاشتراك » في هذه السمات أو الخصائص لا يجعل من انتشار الخصائص أو عموميتها معيارا لشخصية الشعب ، وانما تتحدد شخصية الشعب بحسب هذه النظرية باقتضاء المجتمع ومطالبته بهذه الخصائص · من ذلك مثلا أن المجتمع الصناعي يتطلب سمات شخصية من قبيل النظام والمواظبة على نطاق واسع حتى يتمكن من أداء وظائفه بكفاءة ونجاح ·

وأما نظرية « الشخصية الحضارية أو الخصائص المميزة الحضارية » فانها ـ على خلاف النظرية السابقة ـ تفترض أن في كل حضارة أو ثقافة شخصية نموذجية تنتقل من الآباء الى الناشئة ، وأن هذه الشخصية تطابق الى حد كبير او قليل تلك الهيئة السائدة لهذه الحضارة (بندكت ، ميد ، كاردنر) · ولذلك كانت دراسات أساليب تنشئة الاطفال جزءا هاما من هذا المنهج أو المنحى · لكننا لسنا بحاجة الى أن نؤكد أن الفرد لا يقتصر أمره على أن يكون **ناقلا للحضارة** ، وانما هو **مجدد للحضارة منشيء لها** كذلك ، وهذا أمر كثيرا ما يغفل عنه المشتغلون بالانثروبولوجيا الحضارية · أضف الى ذلك أن نظرية الشخصية

الحضارية لا تحاول تفسير الوظائف الاجتماعية للتماثل بين الشخصية والحضارة، كما يفعل أصحاب نظرية « الشخصية الاجتماعية » · وان كان أصحاب النظرية الاجتماعية يغفلون عن نقطة أخرى لها أهميتها في أي تعريف لشخصية الامة ، وهي مدى **انتشار أو عمومية** بعض السمات المعينة التي هي الملامح السائدة لتلك الشخصية · ذلك أن اقتضاء المجتمع لسمة معينة أو مطالبته بها لا يعني بالضرورة أنها سمة ذات انتشار واسع في هذا المجتمع ، وانما يعني أن ندرة هذه السمة لا يعين المجتمع على أداء وظائفه بنجاح وكفاءة ·

وأما المنهج الثالث في دراسة شخصية الامة ، وهو النهج الذي يبدو لكاتب هذا البحث أنه أكثرها ملاءمة وشمولا ، فانه نهج « الشخصية المنوالية أو الشائعة » · وبحسب هذا النهج لا بد من التسوية بين شخصية الشعب وبين التكوين الشائع للشخصية ، بحيث يفهم من شخصية الشعب أو الخصائص المميزة له نمط أو أنماط انتشار متغيرات الشخصية بين أفراد مجتمع معين (Inkles & Levinson) · وأصحاب هذا النهج لا يرضون عن تعريف شخصية الشعب بأنها « الاقتضاء الاجتماعي » أو مطابقة النمط الحضارى » وان كانوا مع ذلك يدركون أن درجة التطابق بين تكوين الشخصية المنوالية من ناحية والمطالب السيكولوجية للبيئة الاجتماعية من ناحية أخرى مشكلة هامة تستحق البحث والدراسة · ولعل هذا أمر هام لا بالنسبة للعالم الاسلامي فحسب ، بل ولكل الاقطار النامية بصفة عامة ، حيث نجد التغيرات الاجتماعية تسبق التغيرات في الشخصية ، وان كانت تنتج عنها الى حد ما ·

ثم ان لهذه النقطة مترتبات منهجية هامة أيضا · ذلك أننا لو فهمنا من شخصية الشعب أنها أنماط انتشار متغيرات الشخصية الفردية ، ترتب على ذلك أن يصبح من الميسور دراستها عن طريق الفحص السيكولوجي لعينات كبيرة ممثلة الى حد مقبول من الاشخاص وذلك بطريقة فردية ، لا عن طريق تحليل السياسات الجمعية والمنتجات الجمعية ـ من قبيل الطقوس، والانظمة والفولكلور، ووسائل الاتصال الجمعية وما شابه ذلك · صحيح أن الوسيلة الثانية يمكن أن تكون منهجا اضافيا مكملا ، ولكن المنهج الاساسى الاول ينبغي أن يكون دراسة **للافراد على نطاق واسع** · كذلك يبدو أن نهج « الشخصية المنوالية » يتمشى مع الاطار الايديولوجي للمجتمع الاسلامي حيث تتحمل **الملة** بصفتها الجماعية ويتحمل أفراد المسلمين مسئولية مباشرة تتعلق بادارة المجتمع بكفاءة وأمانة ·

لكن نهج « الشخصية المنوالية » مع ذلك لا يقتصر فيه بحال من الاحوال على مجرد تعداد أنواع السلوك وتحديد مدى انتشارها بين الافراد البالغين في

مجتمع معين ، كما أن استخدام هذا النهج لا يعني أن متغيرات الشخصية هي العامل الوحيد المحدد للسلوك في المجتمع · وانما يعني أن متغيرات الشخصية هذه تكون عنصرا رئيسيا في شخصية الامة أو الشعب · ثم أن تحديدنا « لشخصية الملة » بوصفها الشخصية المنوالية ، شأنه في ذلك شأن تحديدنا « لشخصية الامة أو الشعب » ، لا يفرض علينا أو يلزمنا بتوزيع من نوع واحد لخصائص الشخصية · بل ان من الممكن ، ولعل هذا أكثر احتمالا ، أن نتوصل الى أكثر من توزيع واحد لمتغيرات الشخصية في الملة الاسلامية التي تمتد فيما بين مراكش واندونيسيا ، وذلك بالاضافة الى بعض الجيوب الاسلامية الصغيرة في أماكن أخرى · وأما عدد أنماط التوزيع التي سنجدها فمسألة نظرية تجريبية هامة · وبالاختصار نقول أن نهج الشخصية المنوالية أو الشائعة قد يكون أفضل وسيلة لدراسة الخصائص المميزة للملة · كما أن من الواجب أيضا أن نذكر أن محددات السلوك الاخرى ، كالاطار الاجتماعي الحضاري وما تتيحه المواقف من فرص أو تفرضه من مطالب ، وما لدى الافراد من مهارات دائمة التغير وميول تتبدل وأمزجة متقلبة ·· الخ ، كل أولئك لا بد من دراسته كذلك بالاضافة الى دراسة شخصيات الافراد البالغين · أي أنه لا بد من الربط بين الشخصية المنوالية والمتغيرات الاجتماعية والحضارية بصفة خاصة ·

على أن هناك سؤالين هامين لا بد من الاجابة عنهما بهذا الصدد وهما :

(أ) ما هي العوامل الرئيسية المحددة للشخصية المنوالية في المجتمع الاسلامي ؟ أو بعبارة أخرى ما هي العناصر المشتركة في الظروف الاجتماعية للنمو والتي تؤدي الى ما يلاحظ من تشابه أو نمط سائد في شخصيات المسلمين البالغين ؟

(ب) ما هي المترتبات الاجتماعية للشخصية المنوالية ؟ أو بعبارة أخرى ما هو تأثير الشخصية المنوالية على النظام الاجتماعي الاسلامي واداء هذا المجتمع لوظائفه ؟

ولقد افترضنا فيما سبق أن المجتمع الاسلامي يمكن أن يعد ـ من وجهة نظر البحث المقترح على الاقل ـ وحدة واحدة بغض النظر عن حدوده السياسية أو القومية ، بدلا من أن نعده عدة مجتمعات · ولكن نهج الشخصية المنوالية صحيح أيضا اذا نحن نظرنا الى المجتمع الاسلامي بوصفه متعددا ، أعني بوصفه عدة مجتمعات اسلامية ، كما يسود الاعتقاد بصفة عامة · وعندئذ يمكننا المقارنة بين تكوين الشخصية المنوالية في مختلف الشعوب الاسلامية ، وأن نبين ان كانت هذه الشعوب تتفق فيما بينها في أمور مشتركة تسمح لنا بأن نتحدث عنها بوصفها وحدة واحدة لها « خصائص ملية واحدة » ·

الخطة والاستراتيجية

مسائل او قضايا تحليلية محددة :

أدوات البحث :

في ضوء الاعتبارات النظرية والمنهجية السابقة ، لا بد من دراسة قضيتين محددتين مترابطتين والانتهاء فيهما الى حل كجزء من استراتيجية البحث ٠

القضية الاولى تتعلق بضرورة التوصل الى مخطط وصفي تحليلي تفسيري **والثانية** تتعلق بضرورة الحصول على أكثر أدوات القياس ملاءمة ٠ والحق أن من العسير التوصل الى قرار في قضيـة منهمـا ٠ فقـد تتحقق للمخطط التحليلـي المقنن صفة الدقة والانضباط ثم لا يكون من المرونة بالدرجـة اللازمـة لتفسير معنى القياسات ٠ كما قد تتحقق لنا المرونة في التفسير ولا يتحقق لنا الانضباط والدقة اللازمان للتقنين ٠ وقد سبـق أن أقترح « انكلس وليفنسون » ١٩٦٩م (ص ٤٤٧ـ٨) الاخذ بالمعيارين التاليين عند اختيار عدد محدود مـن القضايـا السيكولوجية التي يمكن أن تستخدم فيما بين المجتمعات وعند تحديد العلاقات بين الشخصية المنوالية والنظام الاجتماعي الحضاري :

أولا ـ لا بد من أن نجدها عند الراشدين بصفة عامـة ، كنتيجـة لعمليـة النضج الشائعة عند بني الانسان ، وللخصائص الاجتماعية الحضارية الشائعة في المجتمعات الانسانية ٠

ثانيا ـ ينبغي أن يكون لطريقـة تناولهـا مدلول وظيفـي بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع ، بحيث يكون لاتصاف الفرد وتزوده بها أثر في اقتداره على أن ينشىء نمطا حضاريا اجتماعيا معينا أو يتقبله أو يحافظ عليه أو يغيره ٠

ثم يمضي المؤلفان ليقولا « وهناك واجب آخر يكلف القيام به مدة أطول وهو أن نتوصل الى طائفة من أنواع الاوصاف للتحليل التجريبـي لكـل قضيـة » ٠ ويضيفان « وعندئذ يمكن وصف الشخصيات المنوالية مـن حيـث وجود هـذه الاوصاف المختلفة أو عدم وجودها وأنواع الأنماط التي تتألف منها ٠ « ومن بين الاوصاف التي يقترحانها **علاقة الفرد بالسلطـة ، مفهومـه عـن الذات ، أنواع الصراع الاولية ، وأساليب تناولهـا ، الاساليـب المعرفيـة ، أساليـب السلوك التعبيري ٠٠ الخ** ٠

ثم ان القرار الذي يأتي في المرتبة الثانية من الاهمية في كل بحث من البحوث يتصل بموضوع **الأدوات** · وقد استخدمت ثلاثة أنواع عريضة من الاجراءات لقياس شخصية الشعوب :

أ ـ قياس الشخصية ·

ب ـ التحليل السيكولوجي للظواهر الجمعية عند الراشدين ·

جـ ـ التحليل السيكولوجي لانظمة تنشئة الاطفال ·

أما في النوع الاول ، فأكثر ما استخدم فيه الاختبارات الاسقاطية · كما أن تحليل الاحلام والمقابلات الاكلينيكية نصف المجدولة تبدو ذات نفع كبير في هذا النوع من الابحاث · كذلك يمكن استعراض ما هو مستخدم بالفعل في البلاد الاسلامية من المناهج المتعمقة المماثلة من أجل أغراض التشخيص النفسى ، وذلك حتى يتسنى تحديد أكثرها تمشيا مع أغراض البحث الحالى · لكن من الواجب علينا أن نذكر بوضوح أن كل الوسائل السابقة من النوع الذّي يتمركز حول الفرد ، أعنى أنها وسائل يقصد بها دراسة الفرد بوصفه فردا ، لا من خلال سلوك الجماعة بوصفها وحدة كلية · والمعروف أن تكوين الشخصية المنوالية في المجتمع لا يمكن التعرف عليه ومحاولة التوصل اليه الا باستخدام وسائل أخرى غير الوسائل الفردية : ولذلك فان هذه الوسائل تزودنا بتقديرات حدسية الى حد كبير ، وان كان يعوزها الدقة العلمية ·

وحتى نستكمل هذا النقص استخدمت وسائل **مسح العينات** من قبيل أدوات التعرف على الآراء والاتجاهات والقيم ، كما أنه يمكن استخدامها في أمثال هذه الدراسات (بوكانن وكانتريل ، ١٩٥٣ ، ليرنر ، ١٩٥٨) · لكن هناك مع ذلك صعوبات الترجمة والتقنين عند استخدام أمثال هذه الاختبارات في عدة مجتمعات أو جنسيات (دويجكر وفريجدا) · ولعل هناك تحديا أكثر خطورة يواجه مفهوم الخصائص المميزة للملة مصدره دراسات مسح العينة حين تكشف هذه الدراسات لا عن فروق بين الامم بعضها وبعض فحسب ، وانما عن فروق واختلافات في داخل الامة الواحدة كذلك · وأمثال هذه الفروق قد تعود ، على سبيل المثال ، الى الاختلاف في المهنة أو التعليم · وفي حالة الملة ، قد تؤدى الاختلافات في الحضارات الفرعية وفي اللغة وفي النظام الاجتماعي الى زيادة وتعدد في أنماط الشخصية · ومع ذلك فان هذه الصعوبات يمكن تذليلها عن طريق استخدام نوع أحسن من الادوات التصويرية ووسائل الضبط المنهجية · ومن الوسائل التي يمكن استخدامها في دراسة الخصائص المميزة للملة تلك

الظواهر الجمعية للراشدين · وهذه الظواهر قد تكون من نوع الوثائق الجمعية مثل الاقاصيص الشعبية ، والاعمال الدينية والمجلات الشائعة والافلام السينمائية ·· وهكذا · أو قد تكون من نوع أساليب العمل في المجالات السياسية أو الاقتصادية ، أو من نوع الخصائص السلوكية لمجموع السكان محددة بمعدلات بعض التصرفات مثل الانتحار أو الحرب أو الاضطرابات السياسية أو الارتداد الى الديكتاتورية ونحو ذلك ·

وهناك وسيلة ثالثة يمكن أن تستخدم في دراسة شخصية الملة أو الخصائص المميزة لها وهي تحليل أنظمة تنشئة الاطفال في المجموعات الجنسية الاسلامية المختلفة · ويتم القيام بهذا في الوسط العائلي خلال الاعوام الخمسة أو الستة الاولى من حياة الطفل · كما يمكن بالاضافة الى ذلك دراسة تشكيل الاسرة ، وأنواع أساليب التأديب ، وغير ذلك من الوقائع المتصلة بالنمو · وكذلك يجدر بنا الالتفات بصفة خاصة الى أمور من قبيل جداول التعزيز (أنماط الاثابة والعقاب) لانواع السلوك المختلفة (على سبيل المثال : متمركزة حول النجاح ، موجهة نحو تجنب الفشل ، موجهة نحو القوة ، موجهة نحو الانتماء ، وهكذا) التي يستخدمها الآباء ، وأي الابوين يلعب دورا أقوى في تربية الطفل في مراحل العمر المختلفة (آ تكنسن ، ماكللاند) · وفي هذا المقام نورد اقتراحا للباحثين (انكلس وليفنسون ١٩٦٩) : « علينا في آخر الامر أن نقوم بدراسة **منفصلة** وان كانت مترابطة لانظمة تنشئة الطفل وللاطفال بوصفهم أفرادا من ناحية وللوسط الاجتماعي للكبار والراشدين بوصفهم أفرادا من ناحية اخرى » ·

كذلك يمكننا أن نستمد قدرا اضافيا من المعلومات المناسبة عن تكوينات الشخصية المنوالية وعلاقتها بالظروف الاجتماعية الحضارية المتغيرة في الملة ، اذا نحن عكفنا على دراسة العوامل المؤثرة من خارج الاسرة في نمو شخصيات الاطفال والعوامل الاجتماعية الحضارية الاخرى المؤثرة في نمو الشخصية من بعد مرحلة الطفولة ·

لقد كنا أثرنا من قبل في هذا البحث سؤالا يتصل بالمترتبات الاجتماعية للشخصية المنوالية · وهنا نجد عددا من الابحاث ووجهات النظر على درجة فائقة من الطرافة والاثارة وذلك بغض النظر عما اذا كنا نتفق أو لا نتفق معها · من هذه مثلا نرى أن المتغيرات المتصلة بالدوافع جديرة بالذكر · كما تجدر بنا دراسة التغير والثبات في المجتمع المسلم وبصفة خاصة معدلات النمو الاقتصادى وسرعة التغير الاجتماعي والاشكال التي يتخذها بوصفها دالة لمتغيرات الشخصية في ملة الاسلام · وشبيه بذلك أيضا : الى أي حد تغير الشباب الحديث في المجتمع

الاسلامي بسبب المؤثرات الاجنبية ، وما نوع هذه المؤثرات ، وبالتالى الى أي حد وبأي صورة كان لهذه التغيرات في شخصية الشاب المسلم أثرها في مجتمعه وحضارته · كل هذه أمور جديرة بالدراسة· على اننا نستطيع هنا أيضا استخدام عدة وسائل مثل تحليل المحاور التي تدور حولها كتب المطالعة للاطفال وأساليب تنشئة الاطفال ، والتغير في الازياء ، ومثل الاختبارات الاسقاطية وتحليل المحتوى بالنسبة للفنون والآداب ووسائل الاتصال بالجماهير ·

طريقة العمل :

الادارة والتمويل وما الى ذلك :

بعد الموافقة على المقترح الحالى يمكن ، بادىء ذى بدء ، عقد ندوة لمدة اسبوع واحد ، يشترك فيها البارزون من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية من بين المسلمين ، يكون مقرها المملكة العربية السعودية أو أي بلد اسلامي آخر ويكون الهدف منها التوصل الى الاجابة عن الاسئلة الآتية :

١ ـ ما هي المشكلات المحددة التي ستتم دراستها ، وعلى أي عدد من المراحل ، وبأي الوسائل والاساليب ؟

٢ ـ من الذي يرأس المشروع ومن هم وكلاؤه في البلاد المختلفة ؟

٣ ـ أين يكون المكتب الرئيسى للمشروع، وما عدد الفروع التي تتبعه وما مقرها؟

٤ ـ ما المدة التي يستغرقها المشروع ؟ يقترح أن يمتد المشروع لفترة خمس سنوات ·

٥ ـ ما هي تكاليفه ؟

٦ ـ كيف يكون تنظيمه وادارته وأسلوب الاداء فيه ؟

ثانيا ، وبالاضافة الى العلماء البارزين المعروفين ، ينبغي أن نبدأ من الان وبجد واصرار البحث عن الموهوبين المخلصين من الباحثين الذين يمكن الافادة من خدماتهم في هذا البرنامج ·

ثالثا ، كذلك ينبغي أن نبدأ من الان في التعرف على الموجود من اختبارات الشخصية المناسبة ، ومن الابحاث والمؤلفات ومن الموارد المادية كالمكتبات والاموال المخصصة للمباني ونحوها ·

وفي الختام ، أود مرة ثانية أن أبين أن البحث المقترح لن يقتصر أثره على زيادة فهمنا لملة الاسلام وخصائصها الاساسية المميزة ، وانما سيفيدنا كذلك في حل كثير من مشكلاتنا الملحة العاجلة ، كما انه سوف يمهد الطريق ـ بالتأكيد ـ الى تعاون أكثر فاعلية وفائدة بين علماء المسلمين في كافة انحاء العالم من أجل حل المشكلات ذات الاهمية المشتركة · لست على بينة ان كان هذا قد تم فيما مضى · ولكنني على يقين من أن هذا العمل جدير بأن نقوم به ، ومن أنكم ترون ذلك بدون شك · ان العالم الاسلامي يجتاز مرحلة بالغة الخطورة من تاريخه · وان للعالم الاسلامي تراثا حضاريا يحق له أن يفخر به ، وان البشرية لتستطيع أن تنهل وتنهل من منابع هذا التراث · والروح الاسلامية لا تزال بخير لم تمس · وان للعالم الاسلامي ثروات مادية ووضعا استراتيجيا مرموقا ولذلك لا تزال عيون نهمة كثيرة تتطلع اليه · والقارات التي يعيش فيها المسلمون هي القارات التي سوف يتحدد فيها على الارجح مصير البشرية · ولكن الذي ينقص المسلمين هو وحدة صفوفهم والذي يفتقرون اليه أكثر من ذلك هو ادراك واضح ووعي كامل بدورهم التاريخي · ولذلك كان أملي ويقيني أن هذا البحث المقترح سوف يكون خطوة في سبيل نشر هذا الوعي وتحقيق تلك الوحدة ، وتلكم قضية لا مراء في أنها عزيزة على كل من يشترك في هذه الندوة ·

Summary

In this article, the investigator draws the attention to the importance of studying the characteristics of the "Millat" among Moslems. Since Islam regulates all spheres of life for moslems, and moulds all moslems, of different colors, nationalities, and localities in one unified form, and if western scholars have been quite active in the study of national character and stereotypes, it is highly essential that moslem research workers in the behavioral sciences should investigate the characteristics peculiar to moslems everywhere. The writer, then, proceeds to lay the basic methodological outline necessary for the undertaking of such a noteworthy academic endeavour.

1. Atkinson, J.W. Ed. (1958). *Motives in fantasy, action, and society.* Princeton: Van Nostrand.

2. Benedict, R.F. (1934) *Patterns of culture.* Boston: Houghton Mifflin.

3. Buchanan, W., & H. Cantril (1953). *How nations see each other.* Urbana: Univ. of Illinois Press.

4. Duijker, H.C.J., and N.H. Frijda (1960). *National Character and National stereo-types: a trend report prepared for the International Union of Scientific Psychology.* Confluence, I. Amsterdan: North-Holland Publishing Co.

5. Fromm, E. (1941) *Escape from freedom.* New York: Farrar and Rinehart.

6. Inkeles, A. & Levinson, D.J. (1969) "National Character: The study of Model Personality and Sociocultural systems" in Lindzey, G. & Aronson, E. (Ed). *The Handbook of Social Psychology,* Vol: Four; Reading, Mass: Addison-Wesley.

7. Kardiner, A. (1945), with the collaboration of R. Linton, Cora Du Bois, and J. West. *The Psychological frontiers of society.* New York: Columbia Univ. Press.

8. Lerner, D. (1958). *The passing of traditional society.* Princeton: Van Nostrand.

9. McClelland, D., (1960). *The achieving society.* Princeton: Van Nostrand.

10. Mead, M. (1939) The study of national character. In D. Lerner and H.D. Lasswell (Eds.), *The policy sciences,* Stanford: Univ. Press. Pp. 70–85.

11. Singer, M. (1961). "A Survey of Culture and Personality Theory and Research" in Kaplan, B. (Ed.) *studying personality Cross-culturally:* New York: Harper & Row.